ܒܝܬ ܡܪܕܘܬܐ

ܕܡܠܦܢܐ ܓܘܪܓܝ ܒܪ ܐܢܛܘܢ ܕܒܝܬ ܟܝܪܐܙ

Ex Libris

Beth Mardutho Library

The Malphono George Anton Kiraz Collection

ܟܠ ܐܢܫ ܕܫܐܠ ܠܗ ܠܟܬܒܐ ܗܢܐ ܡܢ ܒܬܪ ܩܪܝܐ
ܐܘ ܦܘܚܡ ܢܣܒ ܡܢܗ ܘܗܘܐ ܡܫܬܠܛܐ ܥܠܘܗܝ ܢܟܣܝܐ
ܘܦܣܩܐ ܡܢ ܚܕ ܡܠܟܝܐ ܘܣܦܪܐ ܕܝܢܐ ܢܛܠ ܘܐܪ
ܥܠܠ ܠܗ ܣܦܪܐ ܥܠ ܕܝܢܐ ܗܘܐ ܠܗ ܣܦܪܐ ܥܠ
ܓܡܘܪܐ ܒܕܡܐ ܕܡܫܪܝܐ ܠܗ ܠܦܘܠܣܐ܀

Anyone who asks for this volume, to read, collate, or copy from it, and who appropriates it to himself or herself, or cuts anything out of it, should realize that (s)he will have to give answer before God's awesome tribunal as if (s)he had robbed a sanctuary. Let such a person be held anathema and receive no forgiveness until the book is returned. So be it, Amen! And anyone who removes these anathemas, digitally or otherwise, shall himself receive them in double.

بطاركة الشرق

بقلم

اغناطيوس يعقوب الثالث

بطريرك انطاكية وسائر المشرق

نشر تباعاً في المجلة البطريركية في دمشق

١٩٦٩

مقدمة

بعد حمد الله نقول : هوذا بين يديك ايها القارىء الكريم ، مقالنا التأريخي المطول في « بطاركة الشرق » ، الذي اصدرته المجلة البطريركية في دمشق متسلسلاً في اعدادها ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ . وقد انطوى على تصحيح علمي رصين ، معزز بالبراهين القاطعة والحجج الدامغة ، لمقال بهذا العنوان للاب انطوان ضو الماروني . ولا نستهدف من عملنا هذا سوى الحقيقة التأريخية . والله من وراء القصد .

دمشق في ١٥ / ٣ / ١٩٦٩

المؤلف

بطاركة الشرق

طالعنا في ملحق جريدة « النهار البيروتية » العدد ٩٨٢١ ، الاحد كانون الاول سنة ١٩٦٧ ، مقالاً ضافياً بعنوان « بطاركة الشرق خلفاء الرسل ، وكثرتهم معضلة لم يحلها المجمع » ، بقلم الأب انطوان ضو (الانطواني) . ومع ان الكاتب الماروني البارع طبع على غرار غيره من اتباع روما في معظم ما تضمنه المقال من النقاط ، إلا أنه تميز بشيء من الجرأة في بعض تصريحاته ، مخالفاً بذلك التقليد الروماني المعروف . من ذلك اعترافه « بأن مؤسس الكرسي الانطاكي هو مار بطرس الرسول » ، و « ان مجمع خلقيدونية اثبت القانون الثالث من مجمع القسطنطينية » ، و « ان باباوات روما اعترفوا تباعاً بمقررات المجامع المسكونية في ما يخص الكراسي البطريركية بعدما رفضوها » ، و « ان الموارنة كانوا يعترفون بمشيئة واحدة للمسيح الأمر الذي كان يجعلهم مختلفين بالرأي مع الروم » . وقوله : « وراحت روما تقبل العائدين اليها طائفة بعد اخرى وتوافق على انشاء بطريركيات جديدة فتزيد في تعقيد القضية الشرقية المسيحية دون ان تدري » . وقد تُعزى جرأته هذه الى اصله الارثوذكسي . ذلك بان اسرة ضو الكريمة كانت سريانية ارثوذكسية . ومنها كان مار ديوسقوروس عيسى ضو مطران اورشليم الذي ولد في لحفد – لبنان وعُرف بالنبكي نسبة الى النبك وطن اجداده . وقد رسمه مطراناً على اورشليم بطريركنا مار اغناطيوس

بهام الحدلي (البرطلي) في دير الزعفران واسند اليه طرابلس . وتوفي سنة ١٤٧٧[١] .

وبما ان الأب انطوان اخفق في عرضه لمعظم النقاط الواردة في مقاله المشار اليه ، لذلك رأينا درسها هنا واحدة فواحدة .

١ — قال : « فالقديس بطرس دعاه المسيح ليكون راعياً لنعاجه » (يوحنا ٢١ : ٢٧)

قلنا : ان السيد المسيح دعا جميع الرسل ليكونوا رعاة لنعاجه ، وبواسطتهم دعا جميع الاساقفة خلفائهم ايضاً كما يتضح من قول مار بولس الرسول : « فاحذروا لانفسكم ولجميع القطيع الذي اقامكم فيه الروح القدس اساقفة لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه » (اع ٢٠ : ٢٨) . اما دعوة المسيح هنا لبطرس ، فكانت بعد قيامته ، أي بعد ان كان بطرس قد انكره ثلاثاً وفقد بذلك رتبته الرسولية . وهكذا بواسطة الاسئلة الثلاثة التي وجهها اليه ، والاجوبة البطرسية الثلاثة المفعمة محبة له وايماناً ، رد اليه رتبته لا غير .

٢ — قال : « كان لبعض الكنائس دورها الخاص في تاريخ الكنيسة اما لانها مؤسسة من رسول كروما وانطاكية واورشليم الخ » .

قلنا : لم يرتب الأب انطوان هذه الكراسي بالنسبة الى تأسيسها بل بالنسبة الى ما رتبته المجامع ، وهو ترتيب مدني بحت . فكان عليه ان يقول : « كاورشليم وانطاكية وروما » .

---

١) ذيل التاريخ الكنسي لابن العبري وكتاب اصدق ما كان عن تاريخ لبنان للفيكنت فيليب دي طرازي مج ١ ص ١١٦ ـ ١١٧ ومج ٢ ص ٢٨ ـ ٣١ نقلا عن تاريخ الطائفة المارونية للدويهي ص ١٣٩ وجامعة بني ضو ص ٧ .

٣ – قال : « لكن منذ القديم كانت بعض الكراسي تحاط بالتكريم ولها الاولية كروما التي اسسها بطرس الرسول وفيها مات هو وبولس ، واورشليم التي اسسها يعقوب وفيها تمت اسرار الخلاص ، وانطاكية التي اسسها بطرس الرسول ايضاً والتي دعي فيها التلامذة « مسيحيين » (اعمال ١١ : ٢٦) .

قلنا : اولاً – هنا ايضاً لم يُصب الكاتب الفاضل في ترتيب الكراسي المؤسسة من الرسل . فكان عليه ان يقول : كاورشليم التي اسسها يعقوب ، وانطاكية التي اسسها بطرس الرسول الخ . ثانياً – ان ما يلفت النظر هنا هو جرأة الكاتب اللبيب ، اذ صرح بأن مؤسس الكرسي الانطاكي هو مار بطرس الرسول ، ما لم يجرؤ على التصريح به نيافة الكاردينال المعوشي نفسه في المجمع الفاتيكاني – كما ذكرت ذلك هذه المجلة في حينه – خشية ان يثير عليه سخط روما ، مع العلم ان روما نفسها تحتفل في الثاني والعشرين من شباط ، بذكرى تأسيس كرسي مار بطرس الرسول في انطاكية ! ثالثاً – لقد اخطأ الكاتب الفاضل بقوله : « ان بطرس الرسول هو مؤسس كرسي روما » . ذلك بأن الاسفار الوحيية والوثائق التاريخية اثبتت ان مار بولس الرسول هو مؤسس هذا الكرسي لا بطرس[٢] .

ولا بد لنا هنا من القول ، ان الذي يعقل ألسنة البطاركة الشرقيين الخاضعين لروما من التصريح بأن « بطرس الرسول هو مؤسس الكرسي الانطاكي » ، هو اعتقادهم برئاسة البابا الروماني العامة على الكنيسة . لأن هذه الرئاسة انما بنيت على الخلافة البطرسية . فقد يتسائل سائل قائلاً : اذا كانت رئاسة البابا الروماني على الكنيسة نتيجة الخلافة البطرسية فقط ، فلِمَ

---

٢) راجع المجلة البطريركية السنة ٢ العدد ١٥ .

لا تكون كذلك لخلفاء بطرس في الكرسي الانطاكي ايضاً ؟ وبعبارة اخرى لِمَ لا يكون بطريرك انطاكية معادلا لبابا روما في الرئاسة البطرسية ، كما كان يعتقد مثلاً البابا غريغوريوس الاول الروماني(٣) ؟

؛ – قال : « ففي المجمع النيقاوي الأول المنعقد سنة ٣٢٥ ، جاء في قانونه السادس عن الاسكندرية وانطاكية ما يلي : « تبقى مستمرة العادة القديمة الدارجة في مصر وليبيا وبنتابولي ، وهي ان مطران الاسكندرية تبقى صلاحياته على كل هذه المقاطعات ... كما تجب المحافظة على الحقوق القديمة لكنائس انطاكية وسائر المقاطعات » .

قلنا : لا ندري لماذا لم يورد الكاتب الذكي نص هذا القانون بكامله ! فقد حذف منه العبارة التالية : « لأن اسقف رومية ايضاً له هذه العادة » . وهي توضح بجلاء ان سلطة اسقف رومية كانت على مقاطعته فقط أي على بلاد الغرب وحدها ، كما كانت مثلاً سلطة اسقف انطاكية على الشرق وسلطة اسقف الاسكندرية على افريقية ، وذلك بحسب العادة القديمة الدارجة . والجدير بالذكر ان روما ، على تمادي الزمان ، حرّفت هذه العبارة فجعلتها « لأن اسقف رومية امر بهذا » . أي لتتلاءم والرئاسة العامة الوهمية التي تدعيها على الكنيسة . في حين ان النص الثابت ينفي مثل هذا الادعاء على الاطلاق ، ويبين بوضوح ان رئاسة روما كانت على مقاطعتها وحدها كما مر معنا . والظاهر ان الأب انطوان لا يؤمن بهذا التحريف ، ولذلك تحاشى ذكر العبارة الثابتة خشية ان يستهدف لغضبة روما !

والشيء بالشيء يذكر . ان هذا القانون كان من جملة القوانين التي زورها زوسيموس الروماني سنة ٤١٨ ونحلها مجمع نيقية ، لتثبيت رئاسته

---

٣) مجموعة الآباء اللاتين لمين ٧٧ : ٢٩٩ .

العامة ، وارسلها الى المجمع الافريقي المنعقد في قرطاجنة ، والمؤلف من ٢١٧ اسقفاً . فأنكر المجمع دعواه اذ لم يجد لها اثراً في جملة نسخ لاتينية لقوانين مجمع نيقية . ثم كتب الى بطاركة انطاكية والقسطنطينية والاسكندرية طالباً صورة ثابتة لقوانين مجمع نيقية . كما كتب الى بونيفاسيوس الاول الذي خلف زوسيموس سنة ٤١٨ كي يكتب هو ايضاً الى آباء هذه الكنائس الشرقية ويأتي بالقوانين النيقاوية الثابتة « لأن فيها المراسيم الاصلية نفسها » فوردت الى المجمع صورة طبق الاصل لهذه القوانين من كل من القديسين اطيقوس القسطنطيني (٤٠٦ — ٤٢٦) وكيرلس البابا الاسكندري (٤١٢ — ٤٤٤) ، وهي خالية من دعوى اسقف رومية . فكتب المجمع من ثم الى قلسطينس خلف بونيفاسيوس ، رسالة شديدة اللهجة في دحض دعوى رومية[٤] .

٥ — قال : « اما القانون السابع فأعطى اورشليم مكاناً شرفياً بعد الاسكندرية وانطاكية » .

قلنا : ان هذا القانون لم يعط اورشليم هذا المكان الشرفي ، لكنه مع تصريحه بأن يحل اسقفها محل الشرف والاعتبار ، فقد اخضعه لسلطة متروبوليت قيصرية فلسطين . اما الذي اعطى اورشليم هذا المكان الشرفي فهو المجمع الخلقيدوني سنة ٤٥١ لقاء انحياز يوبيناليوس اسقف اورشليم اليه . ففي جلسته السابعة سلخ عن الكرسي الانطاكي ولايات فلسطين الاولى والثانية والثالثة وهي اليهودية والسامرة والجليل ، وضمها الى اورشليم ، واطلق

---

٤) الوضع الآلهي في تأسيس الكنيسة لكيرلس مقار بطريرك الاقباط الكاثوليك طبعة القاهرة سنة ١٩٢٥ ج ٣ ص ٤٧ - ٥٦ وتاريخ الانشقاق لجراسيموس مسرة طبعة بيروت ١٩٣١ ج ١ ص ١٨٢ - ١٩٨ وتاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية ج ٢ ص ١٩ و ٢٠

لقب بطريرك على اسقف اورشليم عرف بعدئذ بالبطريرك الخامس[٥] .

٦ – قال : « مجمع القسطنطينية الاول ٣٨١ وضع تشريعاً جديداً في قانونه الثالث في ما يتعلق بالقسطنطينية اذ جعلها تتقدم على سائر البطريركيات وتحل بعد روما فوراً » .

قلنا : لم يكن لقب البطريرك والبطريركية قد أطلق بعد في الكنيسة ، بل كان ذلك في القرن التالي (الخامس) . فالاصح ان يقال : « جعلها تتقدم على سائر الكراسي » .

٧ – قال : « مجمع خلقيدونية ٤٥١ اثبت القانون الثالث من مجمع القسطنطينية ... وتباعاً اعترف بمقررات المجامع المسكونية باباوات روما بعدما رفضوها » .

قلنا : انه يعني قانونه الثامن والعشرين الذي هو صدى القانون الثالث القسطنطيني ، والذي قدّم الكرسي القسطنطيني على سائر الكراسي ، وقانونه التاسع الذي قضى برفع الدعاوى اليه ضد جميع المطارنة والاساقفة . وقد سنّ المجمع الخلقيدوني هذين القانونين في جلسته الخامسة عشرة المنعقدة في ٣١ تشرين الاول ، وذلك في غياب نواب لاون الروماني ، فاعترض عليها نواب لاون في الجلسة التالية ، وهي الاخيرة المنعقدة في ٢٠ تشرين الثاني معلنين عدم ارتياحهم لهما[٦] . بل ابرزوا القانون السادس النيقاوي محرفاً كما اورده اسلافهم في مجمع قرطاجنة ، فكان نداؤهم كصرخة في واد ، لأن

---

٥) تاريخ زكريا الفصيح مج ١ ص ١٥٦ وتاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية ج٢ ص١٧٣ و ١٧٤ و ١٩٢ و ١٩٨ .

٦) الكنز الثمين لمكسيموس مظلوم بطريرك الروم الكاثوليك مج ٣ ص ٢٨٩ .

آباء المجمع اصروا على ذلك[7] . والانكى ان لاون نفسه اعترض على هذين القانونين في رسالته الى اناطوليوس القسطنطيني والقيصر مرقيان قائلاً : « ان الامتيازات التي حازتها كراسي رومية والاسكندرية وانطاكية في المجمع النيقاوي ينبغي ان تبقى ثابتة غير متزعزعة لانها مرتبـــة بروح الله »[8] ، ولكن بدون جدوى ، اذ ظهر فوراً تأثير ذينك القانونين . وقد اعترف اتباع روما انفسهم بأن القانونين ُنفذا عملياً ولئن ناهضها لاون[9] ، الأمر الذي ينقض من الاساس الرئاسة العامة التي تدعيها روما على الكنيسة . وإلا فكيف يسن المجمع قوانين ويضع انظمة دون رغبتها ؟ بل كيف تنفذ بعد اعتراضها عليها ؟

بيد ان روما لم تعترف برتبة القسطنطينية حتى القرن الثالث عشر . ففي سنة ٨٦٦ قال البابا نيقولاوس الاول في رسالته الى مجلس شورى بلغاريا رقم ٩٢ « انه لا يوجد في المسيحية سوى ثلاث كنائس اصلية رسولية وهي روما والاسكندرية وانطاكية ، ولهذا السبب ان هذه الكنائس الثلاث وحدها هي بطريركيات » . وقال في منشور رقم ٩٣ « انه بحسب ما ان الحق ذاته يعلم ، ان بطريرك الاسكندرية هو الثاني بعد بابا روما »[8] . وفي بدء القرن الثالث عشر لما اصبح اللاتين اسياداً للقسطنطينية بواسطة الصليبيين ، واقاموا عليها بطريركاً لاتينياً من طقسهم ، كتب اليه البـــابا اينوشنسيوس الثالث قائلاً : « ومـا بين الحيوانات الاربعة الموصوفة بانهـا

---

٧) تاريخ الانشقاق لجراسيموس مسرة ج ١ ص ٢٤٣ و ٢٤٤ .

٨) الوضع الآلهي في تأسيس الكنيسة ج٢ ص١٧١ - ١٧٣ . الا يستدل من هذا القول على ان قوانين المجمع الخلقيدوني ليست مرتبة بروح الله ؟ اجل ، ولا يزال علماء اللاهوت الباباويون يشكون فى قدامة هذا المجمع بسبب القانونين المذكورين اعلاه .

٩) الكنز الثمين مج ٣ ص ٢٨٩ - ٢٩٠ .

حول العرش ، يجعل حزقيال وجه النسر فوق الحيوانات الأخر . لأن من ضمن الكنائس البطريركية الاربع المرموز اليها بهذه الحيوانات ، والتي هي في دائرة الكرسي المقدس (بروما) بصفتها خادمات له ، ترتفع كنيسة القسطنطينية » .

هكذا اكتشف الباباوات الرومانيون في سفر حزقيال ، ان الروح القدس ذاته كان يرمز بالحيوانات الاربعة التي حول عرش الله ، الى الكنائس البطريركية الاربع – القسطنطينية والاسكندرية وانطاكية واورشليم ، التي هي حول عرش البابا بصفة خادمات[10] . وقد اعلن اينوشنسيوس المومأ اليه في المجمع اللاتراني الرابع ، ان الكرسي القسطنطيني له التقدم على الاسكندري والانطاكي والاورشليمي واثبت ذلك اوجانيوس الرابع في المجمع الفيورنتيني[11] .

قلت ومنذئذ انكفت قوانين نيقية عن ان تكون مرتبة بروح الله . كما كفّ الحق ذاته عن التعليم بأن بطريرك الاسكندرية له المقام الثاني ضرورة بعد بابا روما !! وهذا معنى قول الأب انطوان ضو « وتباعاً اعترف بهذه المقررات باباوات روما بعدما رفضوها » .

هذا وقد كانت روما قد ادعت ان القانون الثالث القسطنطيني لم يصل اليها . بيد ان اعمال المجمع الخلقيدوني فضحت هذا الادعاء . ذلك ان لوقانسيوس احد نواب لاون في هذا المجمع ، احتج على مار ديوسقوروس الاسكندري بقوله : انه عقد مجمعاً .. اجلس فيه فلابيانوس القسطنطيني في

---

١٠) الوضع الالهي ج ٢ ص ١٧٣ - ١٧٤ .

١١) الكنز الثمين ج ٣ ص ٢٩٠ راجع هذه الامور في تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية ج ٢ ص ١٩٢ - ١٩٤ .

الكرسي الخامس بينما كان يجب ان يكون في الكرسي الاول بعد اسقف رومية كما يقضي القانون الثالث للمجمع القسطنطيني . فهنأهم ديوجانيس اسقف قوزيقوس لتمرسهم بالقانون بقوله لهم : « احسنتم » ، ان لكم علماً صحيحاً بالقوانين » فنشقوا بانشراح عبير هذا المديح[١٢] .

٨ – قال الأب انطوان ضو : « فعندما ينتخب احدهم بطريركا كان يبعث برسالة الى البابا والى اخوانه البطاركة ، وجواب هؤلاء يكون بمثابة الاعتراف القانوني ببطريركيته . هكذا كان يفعل البابا مع البطاركة » .

قلنا : اولاً – ان الأب انطوان يعني « بالبابا » على الاطلاق ، اسقف رومية . مع العلم ان هذا اللقب أطلق اولاً على مار ياركلاس اسقف الاسكندرية في النصف الاول من القرن الثالث[١٣] ، وما زال لقباً لبطاركة الاسكندرية . اما اسقف رومية فقد اطلقه عليه اولاً إنوديوس مغنوس فيليكس اسقف باريس (٥١٧ – ٥٢١) كما يبدو من مؤلفاته وهو شماس[١٤] . لذلك رأينا لاون الروماني ، في رسالته الى القيصر مرقيان سنة ٤٥١ ، يسمي نفسه « رئيس اساقفة رومية القديمة » .

ثانياً – ان الأب انطوان ميز هنا البابا الروماني عن البطاركة . وكأني به يلمح الى رئاسة البابا على البطاركة ، في حين ان الجميع اخوة لا غير . فكما ان البطاركة هم اخوة البطريرك المنتخب ، كذلك البابا نفسه .

٩ – قال عن نصارى الكنيسة السريانية الشرقية : « وفي سنة ٤٢٤

---

١٢) مجموعة لابيه ٤ : ١١٥ والوضع الآلهي ج ٣ ص ٩٩ – ١٠٠ وتاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية ج ٢ ص ١٥٩ .

١٣) التاريخ الكنسي لاوسابيوس القيصري ٧ : ٧ .

١٤ انظر كتاب Who's who in the early Church by Rev. w, m, c, Piercy M.A.P. 36

اعلنوا استقلالهم الرسمي عن الكنيسة الانطاكية . وسنة ٤٨٦ انضموا الى تعليم نسطور رسمياً ولقبوا نساطرة وسيطروا على بلاد ما بين النهرين واتجهوا نحو الشرق » .

قلنا : اولاً — لا صحة لقوله « انهم اعلنوا استقلالهم الرسمي عن الكنيسة الانطاكية سنة ٤٢٤ » ، لكن الدولة الفارسية هي التي حالت بينهم وبين الكنيسة الانطاكية ، كما يتضح من قول العلامة ابن العبري عن سنة ٤٨٠ : « في هذا الزمان كان برصوم النصيبيني « ومعنا » الاردشيري والمعلم نرساي ، ينفثون في المشرق سموم البدعة النسطورية وينادون بوجوب اتخاذ الاساقفة سراري ، كما اتخذ برصوم نفسه سرية قائلاً : « ان التزوج خير من التحرق » فلما انتهى امرهم الى الاساقفة الغربيين (أي اساقفة سوريا الانطاكيين) ، كتبوا الى الجاثليق بابويه مبكتين اياه على اهماله . فأجابهم هذا برسالة سريانية قائلاً : « بما اننا خاضعون لسلطة منافقة لا نستطيع ان نعاقب المذنبين ، ولذلك تعبث بنا وبقوانيننا يد الحدثان »[١٥].
ثانياً — لا صحة ايضاً لقوله : « انهم سنة ٤٨٦ انضموا الى تعليم نسطور رسمياً وسيطروا على ما بين النهرين » . ذلك ان الكنيسة السريانية الشرقية واصلت جهادها في المشرق أي في المملكة الفارسية ، رغم اضطهاد زعماء النسطرة لها بقوة العاهل الفارسي فيروز ، وسلخهم قسماً كبيراً من ابنائها . فكما قامت هناك جثلقة سريانية نسطورية كذلك قامت الى جانبها جثلقة سريانية ارثوذكسية ، مرتبطة بالكنيسة السريانية الانطاكية . وقد ساعد على ثبات اولئك الارثوذكسيين في عقيدتهم ، قباذ الذي خلف اباه فيروز في تخت المملكة الفارسية ، وذلك بعد ان وقف على حقيقة النساطرة وازداد

---

١٥) التاريخ الكنسي لابن العبري مج٣ ص٦٣ - ٦٥ وتاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية ج ٢ ص ٢٣٦

كراهية لهم[١٦] . لقد اثبت مار شمعون الارشمي المعروف بالمجادل الفارسي ، في رسالته التي كتبها سنة ٥١١ « في انتشار النسطرة في البلاد الفارسية » ، ان ثلاثة وثلاثين اسقفاً من بلاد غورزان مع ملوكهم واعيانهم ، واثنين وثلاثين اسقفاً من ارمينية الكبرى الفارسية مع مرازبتهم ، كانوا في عهده وعند كتابة هذه الرسالة ، ارثوذكسيين مناوئين لبدعة نسطور[١٧] . وذكر مار ماروثا التكريتي في رسالته الى البطريرك مار يوحنا ابي السدرات ، ان سبعة رهبان من المشرق توجهوا الى انطاكية حيث اقتبلوا وضع اليد الاسقفي وعادوا ، ولكنهم لم يتمكنوا من التظاهر[١٨] . ولعل هؤلاء هم الذين ذكرتهم سيرة مار يوحنا التلي (٥٣٨+) بانهم اقتبلوا الرسامة الاسقفية منه ، اذ كان البطريرك مار سويريوس الكبير قد اقامه نائباً بطريركياً عاماً وفوض اليه رسامة اساقفة . ولما هدأ الاضطهاد النسطوري ، عاد الاساقفة الذين كانوا قد هربوا من امام برصوم النصيبيني ، كما ظهر الاساقفة الذين رسموا في انطاكية ايضاً[١٨] . ويبدو من سيرة مار شمعون الارشمي المشار اليه ، انه كان في عهده للارثوذكسيين في المشرق ، جملة اساقفة ، احتفلوا برسامته اسقفاً قبيل سنة ٥٠٣ ثم سجنوا معه في نصيبين . وكان خمسة منهم قد حضروا معه قبيل ذلك في مجلس جدل ، دعا اليه الجاثليق باباي النسطوري (٤٩٧ — ٥٠٣)[١٩] . كل هذا يدل دلالة واضحة على ان النساطرة لم يتمكنوا من مد سيطرتهم على الكنيسة السريانية الشرقية كلها .

وفي سنتي ٥٤٠ و٥٤٤ جلا كسرى الاول انوشروان ابن قباذ (٥٣١ — ٥٧٩) الى بلاده جمهوراً كبيراً من انطاكية ومن القرى اللائذة

---

١٦) التاريخ الكنسي لابن العبري مج٣ ص٨٣ ودفقات الطيب في تاريخ دير مار متى العجيب ص٣١

١٧) راجعها في المكتبة الشرقية للسمعاني مج ١ ف ٢٩ .

١٨) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ٢٦ ٤ - ٢٧ ٤ والتاريخ الكنسي لابن العبري مج ٣ ص ٧١ - ٧٣

١٩) سير النساك الشرقيين لمار يوحنا الافسسي ص ١٤٦ .

بالرها فتكاثر الارثوذكسيون في المشرق[٢٠] ، وانشئت لهم بيعة في سليق عاصمة المملكة الفارسية . وفي سنة ٥٥٩ تفقد مار يعقوب البرادعي المطران المسكوني ، احوال كنيسة المشرق السريانية ، فاكرم كسرى مثواه ، ما شجعه على رسامة مار احودامه البلدي اسقف باعربايي ، جاثيلقاً على المشرق[٢١] . وفي سنة ٦٢٨ عُقد صلح بين المملكتين الفارسية والرومية ، فرسم البطريرك مار اثناسيوس الاول في انطاكية ، مار ماروثا الآنف الذكر مفريانا على تكريت ، وخوله الرئاسة على بلاد المشرق أي بلاد فارس واثور وباعربايي[٢٢] . ولما عاد مار ماروثا من انطاكية الى المشرق ، عقد مجمعاً في دير مار متى — الموصل نظم فيه احوال كنيسة المشرق السريانية ، ورتب لها اثنتي عشرة ابرشية اسقفية . ثم اضاف اليها ثلاث ابرشيات اخرى في افغانستان واذربيجان[٢٣] .

١٠ — قال : حدد المجمع الخلقيدوني ٤٥١ ان في المسيح طبيعتين آلهية وانسانية . فرفض كثير من الآباء هذا التعليم . وكان خلاف على التعبير اكثر مما هو خلاف على العقيدة ... وقام ضد المجمع عالمان كبيران هما فيلوكسين المنبجي وساويرس الانطاكي وتوصلا بشروحها واسفارهما الى اقناع القسم الاكبر من اساقفة انطاكية والاسكندرية بالوقوف الى جانبها . ثم اتى يعقوب البرادعي ونظم الكنيسة تنظيماً هاماً حتى دعيت احياناً باسمه « الكنيسة اليعقوبية » .

قلنا : اولاً — لم يحدد هذا المجمع ان في المسيح طبيعتين بل ان

---

٢٠) التاريخ الكنسي لابن العبري مج ٣ ص ٨٥ - ٨٧ .

٢١) فيه ص ٩٩ والتاريخ الكنسي للافنسي مج ٣ ص ٩٣٠ .

٢٢) راجع رسالته الى مار ادى رئيس دير مار متى ورهبانه في تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ٤١٣ .

٢٣) التاريخ الكنسي لابن العبري مج ٣ ص ١٢٥ - ١٢٧ .

للمسيح طبيعتين بعد الاتحاد . والبون بين التعبيرين شاسع كما لا يخفى . اجل ، ان المسيح مؤلف من طبيعتين آلهية وانسانية ، ولكنه ليس في طبيعتين ، ولا له طبيعتان بعد ذلك الاتحاد العجيب الذي تم ما بين اللاهوت والناسوت في احشاء العذراء مريم ، بل طبيعة واحدة مركبة ، كما سبق فقرر المجمع المسكوني الثالث (الافسسي الاول) برئاسة القديس كيرلس الاسكندري سنة ٤٣١ . ثانياً — ان الخلاف في المجمع الخلقيدوني لم يكن على التعبير بل على العقيدة . ذلك ان طومس لاون الروماني الذي اعتمده هذا المجمع ، كان مشحوناً بالآراء النسطورية . منها انه ميز الطبيعتين وخواصها وافعالهما ، ونسب العجائب وغيرها من الامور الرفيعة في المسيح الى اللاهوت ، والآلام وغيرها من الامور الوضيعة الى الناسوت ، وقال : « حقاً يأتي المسيح الاثنان ، الآله والانسان ، الواحد يبهر بالعجائب والآخر ملقى للاهانات » . وكأن الفاعل في المسيح ليس واحداً . وعلى هذا الاساس رفض المجمع الخلقيدوني القول بتألم وصلب احد الثالوث ، خلافاً لقرار المجمع المسكوني الثالث ، بل خلافاً لقول مار بولس الرسول القائل : « فاحذروا ... لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه » (اع ٢٠ : ٢٨) ، و « لانهم لو عرفوا لما صلبوا رب المجد » (١ كو ٢ : ٨) . بيد ان الخلاف على العقيدة تضاءل منذ سنة ٥٣٣ اذ اصدر القيصر يوسطينيان الاول في الخامس عشر وفي السادس والعشرين من آذار هذه السنة ارادتين سنيتين ، اكد فيهما وحدة شخص السيد المسيح على طريقة الرهبان السكيتيين الذين قالوا بتألم الإله Theopaschites ، ونظر البابا الروماني يوحنا الثاني في هذا النص بناء على طلب القيصر نفسه ووافق عليه وعلى مضمونه[٢٤] . وفي سنة ٥٤٤ اصدر يوسطينيان مرسوماً ضد مصنفات اقطاب النسطرة : ثاودوروس

---

٢٤) كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى للدكتور اسد رستم ج ١ ص ٣٧١ .

المصيصي ، ثاودوريطس القورشي وهيبـــا الرهاوي ، الذين كان المجمع الخلقيدوني قد اقر ارثوذكسيتهم ، وقعه البطاركة الخلقيدونيون : مينا القسطنطيني ،زويلس الاسكندري ، افرام الانطاكي وبطرس الاورشليمي[٢٥] . وفي ســنة ٥٥٣ عقد مجمعاً في القسطنطينية (هو المجمع الخامس عند الخلقيدونيين) برئاسة اوطاخيوس القسطنطيني وبموافقة ويجيليوس الروماني، حرم اقطاب النسطرة المومأ اليهم ومصنفاتهم وجميع الذين قبلوهم او يقبلونهم واصدر القرار التالي : « محروم من يفصل الآله الكلمة الذي عمل العجائب عن المسيح الذي تألم ، او يقول عن الآله الكلمة انه مع المسيح الذي وُلد من امرأة ، او انه حال فيـه كواحد في الآخر ، ولا يقول ان ربنا المسـيح وكلمة الله الذي تجسـد وتأنس ، هو واحد ، وله العجائب وقد احتمل في الجسد الآلام الارادية الطوعية »[٢٦] . ثالثاً ــ ان الكنيسـة في ولاية الكرسي الانطاكي كانت بسوادها الاعظم ضد المجمع الخلقيدوني منذ اللحظة الاولى ، الامر الذي دعا الى استقالة البطريرك مكسيموس سنة ٤٥٥ وسقوط البطريرك مرطور وقيام البطريرك مار بطرس الثــاني المعروف بالقصار سنة ٤٦٨ . ومما ذكر عن مرطور ، انه خطب آنذاك في الكنيسة قائلاً : « انه متخل عن هذا الاكليروس المتمرد وهذا الشعب العنيد وهذه الكنيسة التي شأنها الرجس »[٢٧] . كل ذلك تم قبل قيام مار فيلوكسينوس المنبجي ومار سويريوس الانطاكي . وفي عهـد هذين العالمين ، كانت ولاية الكرسي الانطاكي كلها ، باسـاقفتها (سـوى ثلاثة) ومؤمنيها ضد المجمع

---

٢٥) تاريخ سوريا للمطران الدبس مج ٤ ص ٥١٢ .

٢٦) تاريخ مـار ميخائيل الكبير ص ٢٣٥ و ٢٣٨ وتاريخ الكنيسـة السريانيـة الانطاكية ج ٢ ص ١٦٥ و ١٩١ .

٢٧) تاريخ سـوريا للدبس مج ٤ ص ٣١٢ ـ ٣١٣ وتاريخ الكنيسـة السريانيـة الانطاكية ج ٢ ص ٢٢١ ـ ٢٢٢ .

الخلقيدوني . ولم يظهر انصار هذا المجمع على المسرح إلا في خريف سنة ٥١٨ . أي بعد ان اضطهد القيصر يوسطينوس الاول البيزنطي البطريرك مار سويريوس الكبير ونفى زهاء اربعين اسقفاً من هذه الولاية[٢٨] . وهنا انهضت العناية الربانية همة ابن الكنيسة البار مار يعقوب البرادعي للذود عن حياض كنيسته المضطهدة ، فكان له ذلك النصر المؤزّر . اما قول الاب ضو ، ان الكنيسة دعيت باسمه احياناً « الكنيسة اليعقوبية » فذلك بواسطة اعدائها ليس إلا . اما كنيستنا فتعتبرها تسمية دخيلة لا تمت اليها بصلة .

١١ — قال : « كانت مصر ارضاً خصبة لاصحاب الطبيعة الواحدة فكثرة الانصار حدتهم على تنظيم سلطتهم الروحية وانفصالها عن البطريركية الأم . وهكذا قامت في القرن الخامس بطريركية جديدة » .

قلنا : ان البطريركية الأم في مصر ، هي الكنيسة القبطية بالذات ومنها انفصلت السلطة الروحية البيزنطية في اعقاب نفي البطريرك القديس ديوسقوروس الاسكندري سنة ٤٥١ . ألم يعلم القديس كيرلس الاسكندري والمجمع المسكوني الثالث سنة ٤٣١ — قبل المجمع الخلقيدوني — بالطبيعة الواحدة للمسيح بعد الاتحاد ؟ ألم يعترف المجمع الخلقيدوني بارثوذكسية القديس كيرلس والمجمع المسكوني الثالث ؟ هل تغيرت الكنيسة القبطية عن عقيدة مار كيرلس ؟ أليس ان المجمع الخلقيدوني نفسه هو الذي تغير عنها ؟ ألم يكن السواد الاعظم في مصر ضد المجمع الخلقيدوني يومذاك كما هو اليوم ، لتخليه عن عقيدة مار كيرلس ؟ فكيف اذن تكون البطريركية التي تتبع هذا المجمع الأم ؟ ان القديس ديوسقوروس كان قد خلف القديس

---

٢٨) راجع تاريخ زكريا الفصيح مج ٢ ص ٧٨ ـ ٨٠ وتاريخ مار ميخائيل الكبير ص ٢٦٦ ـ ٢٦٧ نقلا عن الافسسي .

كيرلس . ولما توفي في منفاه سنة ٤٥٤ خلفه القديس طيمثاوس الثاني . وفي سنة ٤٧٦ نقل القيصر باسيليسكوس رفاته الى الاسكندرية باحتفال مهيب[٢٩] . وهكذا لم تنقطع سلسلة البطريركية الاسكندرية الشرعية في الكنيسة القبطية الأم . اما السلطة الروحية البيزنطية ، ففيها يصح القول انه بانفصالها ، قامت في القرن الخامس بطريركية جديدة في مصر .

١٢ — قال : « تبدأ سلسلة بطاركة اليعاقبة الانطاكيين او السريان الارثوذكس مع يعقوب البرادعي الذي سيم اسقفاً سنة ٥٤٣ وبطريركاً سنة ٥٤٣ — ٥٤٤ رغم انه سبق يعقوب بطاركة على كرسي انطاكية ، ايدوا الطبيعة الواحدة علناً وهم : بطرس القصار (٤٧٠ — ٤٧١ و٤٨٥ — ٤٨٩) ، يوحنا الثاني (٤٧٦ — ٤٧٧) ، وساويروس (٥١٢ — ٥١٩) ».

قلنا : لم يكن مار يعقوب البرادعي بطريركا ولا مؤسساً للكنيسة لتبدأ معه سلسلة بطاركتنا ، لكنه كان مطراناً مسكونياً واحد ابناء الكنيسة وابطالها البواسل لا غير . اما سلسلة بطاركتنا فتبدأ مع مار بطرس الرسول ولم تنقطع البتة . وقد اعترف الاب انطوان نفسه بان « بطاركة على كرسي انطاكية سبقوا يعقوب ، ايدوا الطبيعة الواحدة علناً وهم بطرس القصار ، يوحنا الثاني وساويروس » . فلِمَ لا يعتبر حضرته هؤلاء بطاركتنا ؟ ألم يقل : « وقام ضد المجمع (الخلقيدوني) عالمان كبيران هما فيلوكسين المنبجي وساويروس الانطاكي وتوصلا بشروحها واسفارهما الى اقناع القسم الاكبر من اساقفة انطاكية والاسكندرية بالوقوف الى جانبيها » ؟ ألم يكن ذلك قبل قيام مار يعقوب البرادعي ؟ فاذا كان ذلك كذلك فكيف اذن تبدأ سلسلة بطاركتنا مع مار يعقوب

---

٢٩) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ٢٥١ والتاريخ المدني السرياني لابن العبري ص ٧٣

هذا ، كما يدعي الاب انطوان ؟ ألم يقل حضرته عن بطريركية الكنيسة القبطية انها قامت في القرن الخامس ؟ فلماذا تكون هذه في القرن الخامس وبطريركيتنا في القرن السادس ؟ ألم يكن بطاركتنا : بطرس القصار ويوحنا الثاني وساويروس المشار اليهم في شركة البطاركة الاقباط الاسكندريين؟ هذا وقد نسي حضرته البطريركين الانطاكيين : بلاديوس (٤٨٨ — ٤٩٨) وفلابيوس الثاني (٤٩٨ — ٥١٢) (في سنواته الاولى) . والكل يعلم ان الحقبة التي سبقت مار يعقوب البرادعي ، وخاصة من سنة ٤٧٦ حتى سنة ٥١٨ ، وفي عهد القياصرة باسيليسكوس وزينون وانسطاس ، كانت البطريركية الانطاكية برمتها على مذهب الطبيعة الواحدة كما اسلفنا . وعلى هذا المذهب كانت بطريركيتا الاسكندرية والقسطنطينية ايضاً[٣٠] . وقصارى القول ، ان ما قلناه هنا في رقم ١١ عن البطريركية القبطية يصح في بطريركيتنا السريانية الانطاكية . فهي الكنيسة الانطاكية الام ، لانها ظلت متمسكة بعقيدة القديس كيرلس الاسكندري والمجمع المسكوني الثالث القائلة « بالطبيعة الواحدة للمسيح بعد الاتحاد » ، وغير معترفة بالمجمع الخلقيدوني الذي كان والمجمع الثالث على طرفي نقيض .

١٣ — قال الاب انطوان ضو : « سنة ٤٩٠ رفض الكاثوليكوس بابكين المجمع الخلقيدوني واتبع مع القسم الاكبر من كنيسته تعليم اصحاب الطبيعة الواحدة » .

---

٣٠) رسائل مار يعقوب السروجي ص ٦٣ ـ ٨٦ وتاريخ مار ميخائيل الكبير ص ٢٥٠ ـ ٢٥٥ والتاريخ الكنسي لابن العبري مج ١ ص ١٨٧ وتاريخ الانشقاق لجراسيموس مسرة ج ٢ ص ٢٦٥ ودائرة المعارف البريطانية طبعة ٩ مج ٢٤ ص ٧٧٨ ومختصر تواريخ الكنيسة تأليف لومون الفرنسي طبعة الموصل ص ٢٧٧ والخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة للاسقف ايسيدوروس ج ١ ص ٥٣٣ و ٥٨١ و ٥٨٢ .

قلنا : ان الارمن كانوا متمسكين بالطبيعة الواحدة قبل المجمع الخلقيدوني . والفضل في ذلك يعود الى القديس فروقلوس القسطنطيني (٤٤٦ +) الذي كتب اليهم رسالة في ست عشرة صفحة ، شرح لهم فيها سر التجسد الالهي ، ناقضاً رأي القائلين بالطبيعتين للمسيح بعد الاتحاد ، ومؤيداً التعليم الرسولي القائل بالطبيعة الواحدة والاقنوم الواحد[٣١] . ولبُعد بلادهم ، لم يتسن لهم الاشتراك في المجمع الخلقيدوني سنة ٤٥١ . فلما انتهت اليهم اخباره ، ووقفوا على ما اتاه في حق الايمان القويم من الشطط والاعتساف ، رفضوه بالاجماع .

١٤ — قال : «فشغور البطريركية الانطاكية من بطريرك ، ووضع الكنيسة الديني والاجتماعي اثر الحروب والسياسة والخلافات الدينية ، حدوا الموارنة على ان « يقيموا بطريركا واساقفة من ديرهم » كما يقول التلمحري . هذا هو اقدم نص معروف لدينا حتى الآن عن نشأة البطريركية المارونية . لكن كما يقول المؤرخ نفسه « الموارنة ظلوا كما هم الآن يرسمون بطريركا ..». وهذا كان سنة ٧٤٥ — ٧٤٦ » .

قلنا : ان البطريركية الانطاكية لم تشغر قط من بطريرك ، كما تدل سلسلة بطاركتنا الشرعيين . اما بطريركية الملكيين فقد شغرت للمرة الثانية من سنة ٧٠٢ حتى سنة ٧٤٢ . وفي ١٩ نيسان هذه السنة نصب اسطيفان الثالث* (٧٤٢ — ٧٤٥) فثاوفيلكط ابن قنبرة الحراني (٧٤٥ — ٧٦٨)[٣٢] الذي حصّل الاوامر من الخليفة مروان الثاني في اضطهاد الموارنة

---

٣١) راجعها في تاريخ زكريا الفصيح مج ١ ص ١٢٧ ـ ١٤٣ .

★)ذكرته بعض الجداول باسم اسطيفان الرابع .

٣٢ الملكيون للخوري اسحق ارمله ص ٣٤ ـ ٣٦ . راجع ايضاً تقويم النعمة ١٩٦٤ للروم الارثوذكس ص ٧٧ وكنيسة مدينة الله انطاكية العظمى للدكتور اسد رستم ج ٢ ص ٣١١ وخلاصة تاريخ الكنيسة الملكية للاب يوسف الشماس المخلصي ج ٢ ص ٢٠ ـ ٢٢ .

وسار في عسكر الى دير مار مارون ليضطر الرهبان ان يقولوا بمشيئتين وان يبطلوا عبارة « يا من صلبت لاجلنا » من التريصاجيون (التقاديس الثلاثة) ، ولكنه باء بالفشل[33] . ذلك ان هؤلاء الرهبان الموارنة ، كانوا قد انفصلوا عن السريان الارثوذكس نحو سنة ٦٣٠ اثر الاضطهاد الذي اثاره الملك هرقل على الكنيسة ، وتبعوا الروم على مذهب الملك القائل بمشيئة واحدة وطبيعتين للمسيح[34] ، ثم انفصلوا عنهم سنة ٦٨١ في اعقاب الحروم الذي اصدره مجمعهم السادس على القائلين بالمشيئة الواحدة[35] . فلم تكن اذن بطريركية الملكيين ايضاً شاغرة حين اقدم الموارنة على رسامة بطريرك لهم . هذا مع العلم انهم لم يكونوا يمتون الى الملكيين بصلة يومذاك بل كانوا مختلفين معهم بالرأي في قضية مشيئة المسيح كما اعترف الاب انطوان نفسه . ومن العجيب الغريب ان يستشهد الكاتب الماروني اللبق على قيام بطريركية الموارنة ، ببطريركنا التلمحري لا بمؤرخي الموارنة انفسهم . ومع هذا فان التلمحري لم يقل انهم رسموا لهم بطريركا انطاكياً . واليك شهادة هذا المؤرخ النزيه : « وظل الموارنة كما هم حتى اليوم . اذ هم يرسمون لهم بطريركا واساقفة من ديرهم . يختلفون عن المكسيميين (اصحاب المشيئتين) باعترافهم بان للمسيح مشيئة واحدة ، وباستعمالهم عبارة « يا من صلبت لاجلنا » . لكنهم يقبلون المجمع الخلقيدوني »[36] . من هنا لم يكن بطريرك الموارنة بطريرك انطاكية . لذلك حين انضم الموارنة الى روما في عهد الصليبيين ، اخضع البابا انوكنتيوس الثالث (في اوائل القرن الثالث عشر)

---

٣٣) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ٤٦٧ .

٣٤) فيه ص ٤٠٨ : ـ ٤١٠ والتاريخ الكنسي لابن العبري مج ١ ص ٢٧٣ والمجلة البطريركية (دمشق) العدد العشرون ص ٥١٨ ومختصر تواريخ الكنيسة تأليف لومون ص ٣١٣ .

٣٥) لومون ص ٣١٣ و ٣١٥ و ٣١٦ و ٣٨٨ .

٣٦) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ٦٧ ؛

بطريركهم للبطريرك اللاتيني . بيد ان البابا الكساندر الرابع سمح لبطريركهم شمعون (في اواسط هذا القرن) بان يسمى بطريركا انطاكياً . والظاهر ان الباباوات خلفاء الكساندر حتى بندكتوس الرابع عشر ، لم يسموا هذا البطريرك انطاكياً ، لكنهم خصوه باسم بطريرك الموارنة فقط[٣٧] .

١٥ — قال : « واشتدت حركة العودة الى الكثلكة في القرنين السادس عشر والسابع عشر لاسباب عديدة ، نذكر منها اتصال الغرب بالشرق (الذي نتج عنه التعارف ، وكل تعارف ينتهي بالتفاهم الصحيح) » .

قلنا : لم تكن الكنائس الشرقية يوماً خاضعة للكثلكة أي لروما ثم انفصلت عنها ليقال « اشتدت حركة العودة الى الكثلكة » . لكنها كانت مستقلة عنها وفقاً لمقررات المجامع المسكونية . كيف لا وهي رسولية المصدر قبل ان تكون روما كذلك . كما انه لم يكن التعارف هو الذي انتهى بالتفاهم الصحيح مع روما ، بل ان جور الحكام من جهة والفقر المدقع والجهل المطبق والجشع الرذيل من جهة اخرى ، كل هذا ولد تلك الحركة الناشزة . لا سيما وان فرنسا كانت تجعل الانضمام الى روما ، شرطاً اساسياً لبسط حمايتها .

١٦ — قال : « بطريركية الكلدان الكاثوليك . بدأت عودة الكلدان أي مسيحي العراق الى الكثلكة مع يوحنا سولاقا سنة ١٥٥٣ » .

قلنا : ليس هنالك كلدان كاثوليك وكلدان ارثوذكس . بل لم تعرف المسيحية طائفة باسم كلدانية قبل سنة ١٤٤٤ التي فيها اطلقه اوجين الرابع بابا رومية على نساطرة قبرص عند انضمامهم اليه[٣٨] .

---

٣٧) اومون ص ٥٩٠ ـ ٥٩١ .

٣٨) تاريخ كلدو واثور للمطران ادي شير ج ٢ المقدمة وذخيرة الاذهان للقس بطرس نصري مج ٢ ص ٩٢

١٧ – قال عن بطريركية السريان الكاثوليك : « بدأت محاولة الوحدة في عهد الصليبيين وتمت على عهد البطريرك اندراوس اخيجان . ولد في ماردين ارثوذكسياً ثم تكثلك واتى الى دير قنوبين حيث كان البطريرك الماروني يوسف صليبا العاقوري ، فأرسله الى المدرسة المارونية في روما ودرس ورجع الى حلب ثم الى لبنان . وسامه البطريرك الماروني يوحنا البواب كاهناً ثم مطراناً سنة ١٦٥٦ وارسله الى حلب ... وعين بطريركا سنة ١٦٦٢ » .

قلنا : اولا – لا صحة لزعمه ان محاولة الوحدة بدأت في عهد الصليبيين . فكان على الكاتب القدير ان يبرز ولو شهادة واحدة يدعم بها زعمه هذا . ثانياً – ان اندراوس اخيجان لم يكن سريانياً بل ارمنياً فكيف يعقل ان يمثل الكنيسة السريانية ، في تحقيق الوحدة ما بينها وبين روما هذا الغريب الذي لا يمت الى الكنيسة السريانية بصلة ما ، خاصة وقد كان شابا عامياً حين تكثلك وانضم الى الموارنة ، بل هم الذين قلدوه الدرجات الكهنوتية كما يقول الأب ضو نفسه . والصحيح ان الرهبان الكبوشيين والقنصل الفرنسي في حلب هم الذين لعبوا دوراً هاماً في قضية اخيجان . ذكر المطران غريغوريوس جرجس شاهين مطران حمص للسريان المنفصلين ان هؤلاء الرهبان القوا بذار الشقاق بين السريان الحلبيين واغروا بعضهم ليطلبوا الى البطريرك مار اغناطيوس شمعون ان يرسم القس اندراوس المشار اليه اسقفاً لهم . واذ كان البطريرك عالماً بان اندراوس ساحر وقد امضى ايامه في مطالعة كتب السحر ، وانه بالتالي لا يستحق رتبة الاسقفية السامية رفض طلبهم . فاعتنقت تلك الشرذمة المذهب الروماني باغراء القنصل الفرنسي فرنسيس بيكيت ورهبان اللاتين المومأ اليهم ، الذين حاولوا

اضطرار البطريرك الى رسامته فأبى . فاخذوه من ثم الى اسقف الموارنة[39] فرسمه اسقفاً سنة ١٦٥٦ . ثم استولت شرذمته على كنيسة حلب بمساعدة القنصل الفرنسي فرنسيس بارون ، ونادت به بطريركا سنة ١٦٦٢[40] .

اما رسامته بطريركا فقد ذكرها البطريرك اسطيفانوس الدويهي الماروني في كتابه « تاريخ الازمنة » كما يلي :

وفي هذه السنة (١٦٦٠) اغناطيوس شمعون بطرك اليعاقبة قصد السفر الى مدينة دمشق ليوفي بعض ديونات كانت عليه ... فصار انه توفي في دمشق . والقنصل بيكت (الفرنسي) بادر في بعثان قصاد الى القصطنط (أي القسطنطينية) لحضرة سلطان محمد بخدمة عظيمة ان يمن على المطران اندراوس بمنشور شريف انه يكون بطرك على الملة اليعقوبية وعطاه الامر عن ذلك وتولى المطران ديونيسيوس اندراوس بطركية اليعاقبة واقبلته الطائفة رغماً عنها . ١ً — لأجل امر السلطان ٢َ — لأجل الديونات التي كانت على الكرسي فتكفل لهم المذكور انه ما يخصرهم (يخسرهم) درهم الفرد لاجل ورود الامر وانه لا يكلفهم شيئاً لاجل قوته . ٣َ — يوفي جميع الديونات التي كانت عليهم ويسترجع آلات (آنية) الكنيسة التي كانت مرهونة عند اهل الدين . ثم انه بسعي القنصل المذكور والرهبان الفرنج رسم اخاه روحيجان بهنم مطوان على حلب ولقبه بديونيسيوس وارسل مكاتب الى مدينة رومية اذ يقر في أمانته وأمانة اخيه المطران . فيقال ان جا المطران سليمان من قدس البابا بانه يسيم البطرك وعلى يده يعمل الحلفان . واما في الظاهر صارت الرسامة على يد البطرك مكاريوس بطرك الروم الذي

---

٣٩) اي لا الى البطريرك الماروني يوحنا البواب كما ذكر الاب ضو خطأ .

٤٠) كتابه « نهج وسبم » ج ١ ص ٤١ ـ ٢ : طبعة سنة ١٩١١ .

عندما وقف بين يديه طالب منه السياميذ (الرسامة) قال له ان قد رفعتك من درجة الاغنسطية الى درجة البطركية قاصداً بذلك ان جميع السياميذ التي كان اقتبلها كانت لا شيء. وصارت هذه الاختباطات جميعها لانه تنكر على بطركية انطاكية التي بيد الموارنة. فمنهم ارتسم مطران على قنوبين. ومنهم في الواجب يطلب العدل انه يرسل يطلب سيام البطركية. فكان قدس البطرك جرجس يقدر يرسل له مطران او اثنين مطارين الذين يرسموه بطركا بمجاري العادة ولا يلتجي الى اعده (اعداء) كنيسة رومية. وثانياً انه اخذ تلك البطركية عنوة وخلاف سنن الكنيسة، لان ما اخذها السيف صاحب السيف. وهكذا باطلاً تقلد فيها ...»[٤١].

قال عن بطريركية الروم الكاثوليك: «في مطلع القرن الثامن عشر اعتلى الكرسي البطريركي للروم اثنان: هما كيرلس الخامس زعيم واثناسيوس الثالث دباس. وراحت روما مرة تؤيد هذا ومرة ذاك. ومات كيرلس في ٥ كانون الثاني ١٧٢٠ ومات اثناسيوس في ٥ آب ١٧٢٤. وما ان مات البطريرك اثناسيوس حتى راح الفريق الكاثوليكي يفتش عن خلف له. لكن الاساقفة من اين؟ واخذ مطران صيدنايا القضية على عاتقه فاستدعى مطرانا من دير المخلص وقررا معاً سيامة مطران فرسموه، وبهمة بعض الكهنة والعلمانيين انتخبوا بطريركا كيرلس طاناس نصب في ٢٠ ايلول ١٧٢٤ .. وانتهى الامر بمجيئه الى لبنان محتمياً عند البطريرك يعقوب عواد الماروني».

قلنا: لقد كانت روما وما زالت، تنتهز فرصة نشوء خلاف ما في احدى الملل المسيحية، لتدخل فيه انفها. ذلك ان دأبها انما هو الاصطياد في الماء العكر. وهذا ما يعنيه الاب ضو عند كلامه عن الخلاف الذي نشأ

---

٤١) ص ٣٥١ - ٣٥٧.

في طائفة الروم الارثوذكس في مطلع القرن الثامن عشر ، بقوله : « وراحت روما مرة تؤيد هذا ومرة ذاك » . اي تغذي الخلاف ، وتذكي شرارته بما تقدم له من وقود . انه ولا شك عمل يتبرأ منه الضمير الحي .

اما حكاية الاب ضو عن كيفية رسامة البطريرك كيرلس طاناس فلا تمت الى الحقيقة بصلة[٤٢] . ففي حين انه يقر بحقيقة عدم وجود اساقفة للقيام بها ، اذا به يموه الحقيقة ويقول ان مطران صيدنايا استدعى مطرانا من دير المخلص وقررا معاً سيامة مطران فرسموه . وكذلك فيما انه يتكلم بالمثنى « قررا معاً » ، اذا به يقفز الى الجمع ويقول « رسموه » . كل ذلك دليل واضح على اضطراب حكايته . اما الحقيقة الثابتة فهي : ان سيرافيم المعروف بكيرلس طاناس رشى الامير حيدر الشهابي الذي استدعى مطرانا من الروم الارثوذكس واسقفاً من الارمن الكاثوليك ، وتهددهما بالقتل ليرسما سيرافيم ، فأخذاه ليلاً الى مغارة — وثلاثتهم سكارى — حيث رسماه ثم حرماه . وبعد مدة نفخ في وجهه راهب كبوشي وقال له : بالنعمة المعطاة لي والسلطان الذي من الحبر الروماني ، قد صيرتك بطركاً على انطاكية العظمى وسائر المشرق[٤٣] .

١٩ — قال عن بطريركية الاقباط الكاثوليك الاسكندرية :

---

٤٢) مما يؤسف له كثيرا ، التزوير الفاضح الذي ادخله على التاريخ الكنسي ، المنشقون عن الكنائس الشرقية في الاجيال الاخيرة ، ولا سيما ما يدور حول نشأتهم ، بحيث يصعب حتى على من كان بصيرا في الحقائق التاريخية ، التمييز ما بين الغث والسمين (راجع مثالا لذلك خلاصة تاريخ الكنيسة الملكية للاب يوسف الشماس المخلصي ص ٢١٢ ـ ٢١٨) .

٤٣) كتاب الحقائق الوضية في تاريخ الكنيسة الانطاكية الارثوذكسية . طبعة القاهرة سنة ١٩٠٣ ص ١٠١ ـ ١٠٦ .

« بدأت المحاولة الرسمية الاولى في اعادة الاقباط الى الكثلكة بعناية من روما ونجحت للمرة الاولى سنة ١٨٢٤ ، لكن دون الاستمرار . وسنة ١٨٩٩ عين البابا لاوون الثالث عشر كيرلس بطريركا واستقال في ١٩٠٨ . ثم اعيد تعيين بطريرك سنة ١٩٤٧ » .

قلنا : ان الكاتب اللبيب ، « بقوله اعادة الاقباط الى الكثلكة » قلد غيره من اتباع روما ، مستعملا نفس « الكليشة » التي اعتاد هؤلاء استعمالها ، والا كان عليه — وهو يعلم اننا في عصر يأبى ان تفوته الاكاذيب والاراجيف — ان يذكر متى كان الاقباط خاضعين لكثلكة روما ، ومتى وكيف تم انفصالهم عنها ، ليتسنى له هذا القول . اما قوله « نجحت روما للمرة الاولى سنة ١٨٢٤ ، لكن دون الاستمرار » ، فيشير الى عهد الاحتلال الفرنسي لمصر . فقد روت التواريخ القبطية ، انه في اواخر القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر ، وصلت الى مصر الارساليات التبشيرية « الكاثوليكية » تحميها جيوش نابليون لتأسيس كنيسة غربية يرئسها بابا روما ، ليسير النفوذ الغربي الديني جنباً الى جنب مع النفوذ والاستعمار السياسي الذي كان يقصده نابليون من تأسيس امبراطورية فرنسية في الشرق . وقد استعان محمد علي بالخبراء الفرنسيين بعد ان تم له الحكم . وفي سنة ١٨٢٠ اراد ان يكافئهم ، فقالوا ان اعظم مكافأة هي ان يأمر فتنضم الكنيسة القبطية الى كنيسة روما وتخضع للبابا . فعرض محمد علي الامر على المعلم غالي رئيس ديوانه وولده باسيليوس ، فاخبراه ان ذلك لا يمكن قبوله من الاقباط اطلاقاً ، وستحدث مذابح اذا ما ارغمناهم ، واكراماً للباشا سنعتنق الكثلكة وحدنا[٤٤] . بيد ان هذه الحركة غير

٤٤) الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة للاسقف ايسيدورس الجزء الثاني ص ٥٢٨ ـ ٥٢٩ وكتاب فتاة الدير المسلمة تأليف العقيد غبريال اسكاروس ـ الاسكندرية ـ ص ١٣ .

الشريفة ، فشلت بعد مدة يسيرة . وهذا معنى قول الاب ضو « ولكن دون الاستمرار » .

واما كيرلس الذي عينه البابا لاون الثالث عشر بطريركا سنة ١٨٩٩ واستقال في ١٩٠٨ كقول الاب ضو ، فهو العلامة كيرلس مقار الشهير بمواقفه المشرفة مع روما . وقد استقال او بالاحرى أُقيل لاسباب لا مجال لذكرها هنا ، واضحى سجين مقر اليسوعيين في بيروت ، حيث الف بالفرنسية احسن كتاب عرفته المسيحية في مدى علاقات روما بالكنائس الاخرى عبر التاريخ ، اسماه : Le Constitution Devine de l'Eglise ، وهو خير معين لمن يبغي تحري الحقائق التأريخية[٤٥] . وفور نشر هذا الكتاب ، لقي كيرلس مقار حتفه في مقر اليسوعيين في بيروت ، في ظروف غامضة ، فارتد الى الكنيسة القبطية الأم ، سكرتيره الفاضل الارخدياقون فرنسيس العتر المشهور بمؤلفاته ومقالاته النفيسة . اما كتابه فنقله الى العربية بعد مدة ، المرحوم الاسقف ايسيدورس السرياني القبطي صاحب مجلة صهيون الشهيرة وطبعه باسم « الوضع الالهي في تأسيس الكنيسة » .

---

٤٥) طبع في باريس للمرة الثالثة سنة ١٩٢٢ .

بطاركة الشرق

بقلم

اغناطيوس يعقوب الثالث
بطريرك انطاكية وسائر المشرق

نشر تباعاً في المجلة البطريركية في دمشق

١٩٦٩